

راجعه فضيلة الشيخ العلامة

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

إعداد

القسم العلمي بمدار الوطن

مصدر هذه المادة :





المقدمة

الحمد لله الذي أمر بالطاعة وحثَّ عليها، ونهى عن المعصـــية وحذَّر منها، والصلاة والسلام على خير الطائعين وإمام المتقين نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين .. أمَّا بعد:

أخي الحبيب:

اعلم وفَّقك الله أنَّ المعاصي قبيحة العواقب، سيئة المنتهى، وهي وإن سرَّ عاجلها ضرَّ آجلها كما قيل:

تَفنَى اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا مِنَ الحرَامِ ويَبقَى الإثمُ وَالعَـــارُ

تَبقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِهَـــا لاَ خَيْرَ في لَذَّةٍ مِن بَعدِهَا النارُ

فربما يجد العاصي سرورًا في نفسه حين يُباشر معصيته، وربمـــا يشعر بلذَّةٍ عند اقترافها والقدوم عليها، ولكنه سرورٌ كاذبٌ ولـــذَّةٌ زائفةٌ وسعادةٌ وهمية؛ لأنه أغضب خالقه، وبارز ربَّـــه بالمحاربـــة، وتناول ما ليس له .. فكيف يصفو له عيش؟ وكيف يهدأ له بال؟

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ [النساء: ١٤]

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًـــا**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

مرارة الحسرة

قال الإمام ابن الجوزي:

من عاين بعين بصيرته تناهي الأمور في بداياتها نال خيرهـــا ونجا من شرِّها، ومن لم يرَ العواقب غلب عليه الحسُّ، فعاد عليه بالألم ما طلب منه السلامة، وبالنصب ما رجا منه الراحة.

وبيان هذا في المستقبل يتبيَّن بذكر الماضي، وهو أنك لا تخلــو أن تكون عصيتَ الله في عمرك أو أطعته، فأين لذَّة معصيتك؟ وأين تعب طاعتك؟ هيهات!.. رحل كلٌّ بما فيه، فليتَ الذنوب إذا تخلَّت خلت!

وأزيدك في هذا بيانًا:

مَثِّلْ ساعة الموت، وانظرْ إلى مرارة الحسرات على التفريط، ولا أقول كيف تغلب حلاوة اللذات؟! لأنَّ حلاوة اللذات اســتحالت حنظلاً، فبقيت مرارةُ الأسى بلا مقاوم.

أتراك ما علمت أنَّ الأمر بعواقبه؟

فراقب العواقب تسلم، ولا تمل مع هوى الحسن فتندم.

قَدْ كَـانَ عُمـرُكَ مِـيلاً فَأصـبَحَ المِيـلُ شِـبرَا
وَأَصْـبَحَ الشِّـبرُ عُقـدًا فَـاحْفُرْ لِنَفْسِـكَ قَبْـرَا

فمن تفكَّر في عواقب الدنيا أخذ الحذر، ومن أيقـن بطـول الطريق تأهَّب للسفر.

إيَّاك والمعصية

اعلم أخي المسلم أنَّ الصبر على المعصية والشهوة أسهل مــــن الصبر على ما تُوجبه المعصية والشهوة فإنها:

إما أن توجب ألَمًا وعقوبة.

وإما أن تقطع لذَّةً أكمل منها.

وإما أن تضيِّع وقتًا إضاعته حسرة وندامة.

وإما أن تثلم عرضًا توقيره أنفع للعبد من ثلمه.

وإما أن تُذهب مالاً بقاؤه خيرٌ له من ذهابه.

وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألذُّ من قضاء الشهوة.

وإما أن تُطرق لوضيع إليك طريقًا لم يكن يجدها قبل ذلك.

وإما أن تجلب همًّا وغمًّا وحزنًا وخوفًا لا يقارب لذَّة الشهوة.

وإما أن تُنسِيَ علمًا ذكره ألذُّ من نَيل الشهوة.

وإما أن تُشمت عدوًّا وتُحزِن وليًّا.

وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة.

وإما أن تحدث عيبًا يبقى صفة لا تزول.

قد لا يؤثر الذنب في الحال

وهنا أمرٌ يغلط فيه كثير من الناس في شأن الذنوب والمعاصي، وهو أنهم إذا لم يرَوا العقوبة في الحال ظنوا أنها لن تنالهم بعد ذلك،

وأنهم قد عُفِي عنهم وغُفِر لهم، وهذا من الغرور الذي هلك بسببه خلقٌ كثير وجمٌّ غفير؛ لأن العقوبة تأتي ولو بعد حين.

فقد ذكر الإمام أحمد في كتاب «الزهد» عن محمد ابن سيرين أنه لما ركبه الدَّين اغتمَّ لذلك فقال: إني لأعرف هذا الغم بـــذنب أصبته منذ أربعين سنة!

ونظر أحد العبَّاد إلى امرأة فتأمَّل محاسنها، فأتى في منامه وقيل له: لتجدنَّ غِبَّها بعد أربعين سنة!

وقال يحيى بن معاذ الرازي:

عَجبتُ من ذي عقلٍ يقول في دعائه: «اللـــهم لا تشـــمت بي الأعداء، وهو يُشمت بنفسه كلَّ عدوٍّ له».. قيل له: وكيف ذلك؟ قال: «يعصي الله فيشمت به في القيامة كلَّ عدوٍّ»!

ويمكن أن تُعجَّل العقوبة فيشعر بها العاصي من فوره، كما قال سليمان التيمي: إنَّ الرجل ليُصيب الذنب في السرِّ فيصبح وعليـــه مذلَّته، فمتى رأيتَ تكديرًا في حال، فتذكَّر ذنبًا قد وقع منك.

فقد قال الفضيل بن عياض: إني لأعصي الله فأعرف ذلـــك في خُلق دابتي وجاريتي!

وقال أبو سليمان الداراني: من صفَّى صُفِّي له، ومن كدَّر كُدِّر عليه، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله.

المعاصي سبب هلاك الأمم

أخي المسلم الموفق:

إذا تأمَّلنا العقوبات التي عاقب الله بها الأمم السابقة وجدنا أنها جميعًا بسبب ذنوبهم ومعاصيهم .. قال تعالى: ﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا**﴾ [العنكبوت: ٤٠]

فليس في الدنيا والآخرة شرٌّ وداءٌ إلى سببه الذنوب والمعاصي، فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللــذة والنعــيم والبهجــة والسرور؛ إلى دار الآلم والأحزان والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطــرده ولعنــه، ومسخ ظاهره وباطنه، فجعل صورته أقبح صورة وأبشعها وباطنــه أقبح من صورته وأشنع؟

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم في زمن نوح عليه الســلام حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟!

وما الذي سلَّط الريح على قوم عادٍ حتى ألقتهم موتى علــى وجه الأرض كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية، ودمَّرت ما مرَّت عليه مــن ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرةً للأمــم إلى يوم القيامة؟!

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم من أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعًا؟ ثم أتــبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمَّةٍ غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي مـــن الظـــالمين ببعيد!

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظُلـــل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارًا تلظَّى؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نُقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق والأرواح للحرق؟!

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمَّرها تدميرًا؟

وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عـــن آخرهم؟

وما الذي سلَّط على بني إسرائيل قومًا أولي بأسٍ شديدٍ فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال وسبوا الذرية والنساء وأحرقوا الـــديار ونهبوا الأموال؟

وما الذي سلَّط عليهم أنواع العقوبات، مرَّة بالقتـــل والســـبي وخراب البلاد، ومرَّة بجور الملوك ومرَّة بمسخهم قردةً وخنازير؟

أخي الحبيب:

وما الذي سلَّط بعضنا على بعض حتى أصبح التقاتــل بــين المسلمين شيئًا مألوفًا لا يُستغرب؟!

وما الذي أعاد الكرَّة علينا حتى اغتصب اليهود ديارنا وأموالنا ومقدساتنا، وأعملوا فينا الذبح والقتل والتنكيل، فأصبحنا أذلَّ أمَّةٍ بعد أن كنا خير أمَّةٍ أُخرِجت للناس؟

أليست هي الذنوب والمعاصي؟

عن جبير بن نفير قال: لما فُتِحت قبرص فرق أهلها، أي خافوا وفزعوا، فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي فقلت: يا أبا الدرداء، ما يُبكيك في يومٍ أعزَّ الله فيه الإســلام وأهله؟ فقال: ويحك يا جُبير! ما أهون الخلقَ على الله عزَّ وجلَّ إن هم أضاعوا أمره، بينما هي أمَّة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى!

نعم يا أخي:

ما أهون الخلق على الله عزَّ وجل إن هم أضاعوا أمره؛ يُبــدِّل حالهم من العزِّ إلى الذُلِّ، ومن الغِنى إلى الفقر، ومن القوَّة والبــأس والسلطان إلى الضعف والمهانة والانهزام.

فاحذر يا أخي من بأس الله وغضبه، وتحوُّل عافيتــه وفجــاءة نقمته، واعلم أنَّ الله لا يُغيِّر ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم .. قال تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَــوْمٍ حَتَّــى

﴿يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]

وقال سبحانه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

أصول المعاصي

قال الإمام ابن القيم: أصول المعاصي كلها كبارها وصغارها ثلاثة:

١- تعلُّق القلب بغير الله.

٢- وطاعة القوة الغضبية.

٣- والقوَّة الشهوانية.

وهي الشرك والظلم والفواحش، فغاية التعلُّق بغير الله الشرك، وأن يُدعَى معه إله آخر، وغاية طاعة القوة الغضبية القتل، وغاية طاعة القوَّة الشهوانية الزنا.

ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨].

وهذه الثلاثة يدعو بعضها إلى بعض، فالشرك يدعو إلى الظلم والفواحش، كما أنَّ الإخلاص والتوحيد يصرفها عن صاحبه، وكذلك الظلم يدعو إلى الشرك والفاحشة، فإنَّ الشرك أظلم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

والفاحشة تدعو إلى الشرك والظلم؛ فهذه الثلاثة يجرُّ بعضها إلى

بعض فيأمر بعضها ببعض.

أنواع المعاصي

وذكر رحمه الله:

إنَّ المعاصي نوعان:

١- ترك مأمور. ٢- فعل محظور.

وكلاهما ينقسم باعتبار محلّه إلى:

١- ظاهر على الجوارح. ٢- باطن في القلوب.

وباعتبار متعلِّقه إلى:

١- حقٌّ الله. ٢- حقٌّ للخلق.

ثم هذه الذنوب تنقسم إلى أربعة أقسام:

١- ذنوب ملكية:

وهي أن يتعاطى العبد ما لا يصلح له من صـــفات الربوبيـــة كالعظمة والكبرياء والجبروت والشرك والقول على الله بغير علـــم، وهذا القسم أعظم أنواع الذنوب.

٢- ذنوب شيطانية:

وهي أن يتشبَّه العبد بالشيطان في الحسد والبغي والغشِّ والغلِّ والخداع والمكر والأمر بالمعاصي والبدع وتحسينها، وهذا النوع يلي الأول في المفسدة إلاَّ أنه دونه.

٣- ذنوب سبعية:

كالعدوان والغصب وسفك الدماء والتوثُّب علـى الضـعفاء والعاجزين وإيذاء الناس، وجميع أنواع الظلم والعدوان.

٤- ذنوب بهيمية:

كالشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنها يتولَّد الزنا والسرقة وأكل أموال اليتامى والبخل والشحِّ والجُـبن والهلـع والجزع وغير ذلك، وأكثر ذنوب الخلق من هذا القسم.

صغائر وكبائر

وهذا تقسيم آخر للمعاصي والذنوب، فهي تنقسم إلى صغائر وكبائر بنصِّ القرآن والسنة وإجماع السلف قال تعالى: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾ [النساء: ٣١]

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَـوَاحِشَ إِلَّـا اللمَمَ**﴾ [النجم: ٣٢].

وقال النبي ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعـة إلى الجمعـة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»[1]

.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قـال: «**اجتنبـوا السـبع الموبقات**» قالوا: يا رسول الله، وما هنَّ؟

---

(١) رواه مسلم.

قال: «**الشرك بالله، والسِّحر، وقتل النفس التي حرم الله إلاَّ بالحقِّ، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يـــوم الزحـــف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**».

وسأل رجل ابن عباس عن الكبائر: أسبعٌ هنَّ؟

قال: هنَّ إلى السبعمائة أقرب، إلاَّ أنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار!

فاتق الله أيها المسلم، ولا تستهن بمعصية الله عزَّ وجلَّ؛ فإنَّ من أدمن الصغائر وقع حتمًا في الكبائر.

قال أحد السلف: لا تنظر إلى صغر الذنب، ولكن انظر إلى من عصيت!

قال الإمام ابن القيم:

وها هنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن الكبيرة قد يقترن بهـــا من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يلحقها بالصـــغائر، وقـــد يقترن بالصغيرة من قلَّة الحياء وعدم المبـــالاة وتـــرك الخـــوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر، بل يجعلها في أعلى رُتبها، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدرٌ زائد على مجرد الفعل، والإنسان يعرف ذلك من نفسه ومن غيره.

إلى متى العصيان؟!

قُـــل للمُفَـــرِّط يَســـتَعِد مَا مِن وُرُود المَـــوتِ بُـــدُّ
قد أخلَـــقَ الـــدهرُ الشَّـــبَا بَ ومَا مَضَى لا يُســـتَرَدُّ
أوَ مَا يَخـــاف أخُـــو المَعَـــا صِي مَن لَه البَطشُ الأَشَدُّ
يومًـــا يُعـــاينُ مَوقفًـــا فِيـــهُ خُطـــوبٌ لاَ تُحَـــدُ
فَـــإلامَ يَشـــتَغِلُ الفَتَـــى فِي لَهْـــوه وَالأمـــرُ جِـــدُّ
أبَـــدًا مَوَاعِيـــدُ الزَّمَـــانِ لأَهلـــهِ تَعـــبٌ وَكَـــدُ
يَـــا مَـــن يُؤمِّـــلُ أَن يُقِـــيمَ به وحَادِي الموتِ يَحـــدُو
وَتـــرُوحُ دَاعِيَـــةُ المُنُـــونِ عَلَـــى مُؤمِّلـــهَا وَتَغـــدُو
يختَالُ فِـــي ثَـــوب النَّعِـــيم وَدُونَـــهُ قَـــبرٌ وَلَحْـــدُ
وَالعُمرُ يَقصُـــرُ كُـــلَّ يَـــومِ ثُـــمَّ فِـــي الآمَـــالِ مَـــدُّ

أضرار الذنوب والمعاصي على الفرد

أخي الحبيب:

أخبر النبي ﷺ أنَّ للذنوب والمعاصي تأثيرًا سلبيًا على القلـــب، وهذا التأثير يقوى بحسب قوة المعصية والغفلة عن الاستغفار والتوبة ويضعف بحسب ضعف المعصية وتداركها بالاستغفار والتوبة فليس هناك نجاة يوم القيامة إلاَّ لمن كان قلبه سليمًا خاليًا من كلِّ شـــبهة مضلَّة وشهوة مهلكة كما قال سبحانه ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ المؤمن إذا**

أذنب ذنبًا نُكت في قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب ونزع واســـتغفر صقل قلبه ــ أي أبيض ــ وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَــا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]».

وقد جمع الإمام ابن القيم رحمه الله شـــيئًا كـــثيرًا في أضـــرار الذنوب والمعاصي حتى لم يدَع لمن بعده مقالاً في ذلك إلا الأخـــذ عنه والاستفادة منه، ومما ذكره رحمه الله من أضرار وعقوبات مـــا يلي:

١- قلَّة التوفيق وخفاءُ الحقِّ على العاصي.

٢- فساد القلب وظُلمته وطمس نوره.

٣- حرمان العلم وحرمان الرزق بسبب المعصية.

٤- وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله وبينـــه وبـــين الناس.

٥- تعسير أموره وعدم قضاء حاجاته.

٦- وهن قلبه وبدنه.

٧- حرمان الطاعة ولذَّتها.

٨- قصر العمر وموت الفجأة.

٩- التعوُّد على المعاصي وانسلاخ استقباحها من القلب.

١٠- ومنها أنَّ المعصية سبب لهوان العبد على ربِّه وســـقوطه

من عينه.

١١- ومنها أنَّ المعصية تورث الذُّلّ ولا بدَّ فإنّ العزَّ كلَّ العـــز في طاعة الله.

١٢- ومنها أنَّ المعاصي تُفسد العقل وتطفئ نوره.

١٣- ومنها أنها تطبع على القلب حتى يعمى ويعلوه الصدأ و الران.

١٤- ومنها أنَّ المعاصي تُدخل العبد تحت لعنة رسول الله ﷺ، فقد لعن ﷺ كثيرًا من أصحاب المعاصي.

١٥- ومنها حرمان العاصي من دعوة رسول الله ﷺ والملائكة.

١٦- ومنها التعرُّض لأنواع العقوبات يوم القيامة.

١٧- ومن أضرار الذنوب والمعاصي أنها تُحـــدث في الأرض أنواعًا من الفساد في المياه والهواء والزروع والثمار والمساكن.

١٨- ومن تأثيرها في الأرض ما يحدث فيهـــا مـــن خســـف وزلازل ومحق ونقص في الثمار والأمطار والأموال.

١٩- ومن عقوباتها أنها تطُفئ في القلب نار الغيرة المحمودة.

٢٠- ومن عقوباتها ذهاب الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب.

٢١- ومنها أنها تُضعف في القلب تعظيم الرَّب جلَّ جلالـــه، فيجترئ العبد على المعصية ويهون عليه نظر الله إليه.

٢٢- ومن عقوباتها أنها تستدعي نسيان الله لعبـــده وتركـــه،

وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه، وهذا هو الهلاك الذي ليس بعده نجاة.

٢٣- ومن عقوباها أها تُخرج العبد من دائرة الإحسان، وتمنعه من ثواب المحسنين، وقد يخرج العبد بها من دائرة المؤمنين كما قال النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يســرق وهــو مؤمن**»[1] .

٢٤- ومن عقوبات الذنوب والمعاصي أها تزيل النعم وتُحــل النقم.

٢٥- ومن عقوباها المعيشة الضّنك في الــدنيا وفي القــبر وفي الآخرة ، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَــهُ مَعِيشَــةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [طه: ١٢٤].

٢٦- ومن عقوباها أها تلقي الرعب و الخوف في القلوب.

٢٧- ومن أعظم عقوباها أها توجب القطيعة بين العبد وبــين ربِّه تبارك وتعالى، وإذا وقعت القطيعة انقطعت عنه أسباب الخــير، واتصلت به أسباب الشر.

٢٨- ومن عقوباها أها تمحق بركة العمر، وبركــة الــرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة، وبالجملة أهــا تمحــق بركة الدين والدنيا.

---

(١) متفق عليه.

٢٩- ومن عقوباتها أنها تُجرئ على العبد ما لم يكن يجتـــرئ عليه من أصناف المخلوقات كالشياطين والنفس وعباد الله.

٣٠- ومنها أها تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة كما قيل:

إذا كُنـــتَ فِـــي نِعمـــةٍ فَارْعِهَـــا
فَـــإنَّ المَعَاصـــيَ تُزيـــل الـــنِّعَم
وحطهَـــا بطَاعَـــةٍ رَبِّ العبَـــادِ
فَـــرَبُّ العبَـــادِ سَـــرِيعُ الـــنِّقَم

أعجب العجائب

أخي الحبيب:

أعجب العجائب سرورك بغرورك، وسهوك في لهوك، عما قد خبئ لك .. تغتر بصحتك وتنسى دنوّ السقم، وتفـــرح بعافيتـــك غافلاً عن قرب الألم، لقد أراك مصرع غيرك مصرعك، وأبـــدى مضجع سواك قبل الممات مضجعك، وقد شغلك نَيل لذاتك عـــن ذكر خراب ذاتك!

كأنَّك لم تَســمَع بأَخبَــارِ مَــن مَضَــى
ولم تَرَ فِي البَــاقِينَ مَــا يَصــنَعُ الــدَّهرُ
فَإن كُنتَ لا تَــدرِي فَتِلــكَ دِيَــارهم
محَاها مَجَــال الــرِّيحِ بَعــدك وَالقَــبرُ!

وكم رأيت صاحب مترل ما نزل لحده حـــتى نـــزل! وكـــم

شاهدت والي قصر وليه عدوه لما عزل!

فيا من في كلِّ لحظة إلى هذا يسري، وفعله فعل من لا يفهم ولا يدري!

وكَم تَنامُ العين وهِيَ قَريرَةٌ
ولَم تدْرِ مِنْ أيِّ الْمَحلَّين تَنْزلُ!

التوبة قبل الرحيل

أخي المسلم:

اقشعرَّت الأرض، وأظلمت السماء، وظهر الفساد في البرِّ والبحر بما كسبت أيدي الناس، وذهبت البركة، وقلت الخيرات، وهزلت الوحوش، وتكدَّرت الحياة من فسق الظلمة، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة، وشكا الكرام الكاتبون إلى ربِّهم من كثرة الفواحش وغلبة المنكرات والقبائح..

وهذا والله منذر سُبل عذاب قد انعقد غمامه، ومؤذن بليل بلاء قد ادلهمَّ ظلامه.

فاعزلوا رحمكم الله عن طَرق هذه السُبل بتوبة نصوح، ما دامت التوبة ممكنة وبابها مفتوح ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١].

قال النبي ﷺ: «**لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه**

وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدَّة الفرح: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك".. أخطأ من شدَّة الفرح»(١) .

أجناس المحرمات

اعلم أخي المسلم أنَّ العبد لا يستحقُّ اسم «التائب» حتى يتخلَّص من اثني عشر جنسًا من أجناس المحرمات وهي:

١- الكفر:

وهو نوعان: أكبر وأصغر، فالأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود في النار، والأكبر يُوجب الخلود في النار، وهو خمسة أنواع:

كفر التكذيب.

كفر الاستكبار.

كفر الإباء مع التصديق

كفر الشك.

كفر النفاق.

٢- الشرك:

وهو نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلاَّ بالتوبة منه،

---

(١) رواه مسلم.

وهو أن يتخذ العبد من دون الله ندًّا يسويه بالله في المحبة والتعظيم.

وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنُّع للخلق والحلف بغير الله، وقول البعض: «ما شـــاء الله وشـــئت»، أو: «مـــا لي إلا الله وأنت»، أو: «أنا متوكل على الله وعليك»، وصاحب هذا النـــوع مستحقٌّ للوعيد، إلا أنه لا يخرج به عن دائرة الإسلام.

٣- النفاق:

وهو نوعان أيضًا: أكبر يوجب الخلود في النـــار في دركهـــا الأسفل، وهو أن يُظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كلِّه مكذِّب به.

أما النفاق الأصغر فلا يكون صاحبه مكذبًا في الباطن، كـــأن يكذب في الحديث ويخلف الوعد ويغدر في العهد، وصاحب هـــذا النوع متعرِّض للوعيد دون الخلود في جهنم.

(٤-٥) الفسوق والعصيان.

(٦-٧) الإثم والعدوان.

(٨-٩) الفحشاء والمنكر.

(١٠) البغي.

(١١) القول على الله بلا علم.

(١٢) اتباع غير سبيل المؤمنين.

دمعة ندم

إلهي!

أنا الذي كلَّما طال عمري زادت ذنوبي .. أنا الـــذي كلَّمـــا هممت بترك خطيئة عرضت لي أخرى.

إلهي!

من عذابك اليوم من يستنقذني؟ وبحبل من أعتصم إن قطعـــت حبلك عني؟!

ويلي!

كلما طال عمري كثرت معاصي!

فمتى أتوب؟ ومتى أعود؟

أما آن لي أن استحي من ربي؟!

كَم قَد زَللتُ فَلم أذكُرك فِــي زللِــي
وأنتَ يَا سَــيدِي في الغَيــبِ تَــذكرُني
لأبكـــيَنَّ بـــدَمع العَــينِ مِــنْ أسَــفٍ
لأَبكِـــــيَنَّ بكَـــاءَ الوَالِـــهِ الحـــزنِ

أسباب سلامة القلب

أخي الحبيب:

اعلم أنه لا تتمُّ سلامة القلب مطلقًا حتى يسلم مـــن خمسـة أشياء:

١- شرك يناقض التوحيد.

٢- بدعة تخالف السنة.

٣- شهوة تخالف الأمر.

٤- غفلة تناقض الذكر.

٥- هوى يناقض التوحيد والإخلاص معًا.

فهذه الخمسة تحجب العبد عن الله، وتضعف القلب أو تميتـــه؛ فيُختم عليه ويصيبه الخسف والمسخ والنكس والحجاب الذي يحول بينه وبين أي تذكُّر وإنابة.

أسباب ترك الذنوب والمعاصي

١- إجلال الله تبارك وتعالى أن يُعصي وهو يرى ويسمع.

٢- مشهد محبته سبحانه، فيترك معصيته محبةً له؛ فإنَّ المحب لمن يحب مطيع.

٣- مشهد النعمة والإحسان، فإنَّ الكريم لا يقابل من أحسن إليه بالإساءة.

٤- مشهد الغضب والانتقام؛ فإنَّ الربَّ تعالى إذا تمادى العبد في معصيته غضب، وإذا غضب لم يقم لغضبه شيء فضلاً عن هذا العبد الضعيف.

٥- مشهد الفوات، وهو ما يفوته بالمعصية من خـــير الـــدنيا والآخرة.

٦- مشهد القهر والظفر؛ فإنَّ قهْر الشهوة والظفر بالشيطان له حلاوة ومسرة وفرحة.

٧- مشهد العوض، وهو ما وعد الله سـبحانه وتعـالى مـن تعويض من ترك المحارم لأجله.

٨- مشهد المعية، وهي خير للعبد وأنفع له في دنياه وآخرتـه قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّـذِينَ هُـمْ مُحْسِـنُونَ**﴾ [النحل: ١٢٨].

٩- مشهد المعاجلة وهو خوف العبد أن يأخذه الله على غرَّة.

١٠- مشهد البلاء والعافية، فإن البلاء في الحقيقـة لـيس إلا الذنوب وعواقبها، والعافية المطلقة هي الطاعات وعواقبها.

١١- تقوية باعث الدين على مصارعة داعي الهوى ومقاومته حتى يدرك لذَّة الظفر والانتصار.

١٢- كفُّ الباطن عن حديث النفس، وإذا مرَّت به الخـواطر السيئة نفاها حتى لا تصير أماني.

١٣- قطع العلائق والأسباب التي تدعوه إلى موافقة الهوى.

١٤- صرف الفكر إلى عجائب آيات الله، وهي آياته المتلـوة وآياته المجلوَّة.

١٥- التفكُّر في الدنيا وسرعة زوالها وقُرب انقضائها.

١٦- تعرُّضه إلى من القلوب بين إصبعيه، فلعلَّه يُصادف ساعة من ساعات الإجابة فيستجيب الله له فيها.

١٧- أن يعلم أنه بين جاذبَين متضادَين، فإما إلى أعلى وإما إلى أسفل.

١٨- أن يعمل على تفريغ قلبه وتنقية باطنه من الشرور والآثام لأنَّ تفرغ المحل شرط لنزول غيث الرحمة.

١٩- أن يعلم العبد قُبح المعصية ورذالتها ودناءتهـا وسـوء عواقبها، وأنَّ الله عزَّ وجلّ ما أمره بأمرٍ إلاَّ وفيه مصلحته، وما نهاه عن أمرٍ إلاَّ وفي تركه مصلحته وسعادته في الدارين.

٢٠- ألاَّ يغتر العبد باعتقاده أنَّ مجرّد العلم بما سبق كـافٍ في حصول المقصود ، بل لا بدَّ من أن يضيف إليه بـذل الجهـد في استعماله واستفراغ الوسع والطاقة فيه.

٢١- الحياء من الله سبحانه، فإنَّ العبد متى علم بنظر الله إليـه واطلاعه عليه استحيا من ربه أن يتعرَّض لمساخطه.

٢٢- خوف الله تعالى وخشية عقابه تُحجِز العبد عن معاصيه.

٢٣- شرف النفس وزكاؤها وفضـلها وأنفتـها أن تختـار الأسباب التي تحطها وتضع قدرها، وتخفض منزلتـها وتحقرهـا ، وتسوِّي بينها وبين السفلة.

٢٤- مجانبة الإسراف في المطعم والمشرب والملـبس والمنـام والخلطة بالناس، فإن قوة الداعي إلى المعاصي إنما تنشأ مـن هـذه الأمور.

٢٥- ثبات شجرة الإيمان في القلب، وهذا هو السبب الجامع

لهذه الأسباب كلِّها، فصبر العبد عن المعاصي إنما هو بحسب قـــوة إيمانه، فكلما كان إيمانه أقوى كان صبره على المعاصـــي أتم، وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر.

يا صاحب الذنب

رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:

يا صاحب الذنب، لا تأمننَّ سوء عاقبته، ولَما يتبع الذنب من الذنب إذا عملته أعظم.

١- قلَّة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنـــت علـــى الذنب أعظم من الذنب.

٢- ضحكك وأنت لا تدري ما الله صانعٌ بك أعظـــم مـــن الذنب.

٣- فرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب.

٤- حُزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب.

٥- خوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب أعظم من الذنب.

٦- عدم اضطراب فؤادك من نظر الله إليك وأنت على الذنب أعظم من الذنب.

فيا أخي!

يَا مَـــن يُحـــدِّثُ نَفسَـــه   بدُخُولِ جنَّـــات النَعِـــيم
إن كُنـــتَ مُتقيًّـــا فَأنـــــ   ـــــتَ عَلـــى الصـــرَاط

لا تَرجُــــــونَّ سَـــــــلامَةً مِن غَيرِ مَا قَلـــب سَـــلِيم
فَاسْلُكْ طَريــقَ الْمُـــتَّقِين وَظُـــن خَـــيرًا بِـــالكَرِيمِ
وَاذكُر وُقُوفَــكَ خَائِفًــا وَالنَّـــاسُ فِي أَمـــرٍ عَظِـــيم
إمَّـــــا إلى ذُلِّ الشَّــــــقَا وَةِ أَوْ إلَـــى العِـــزِّ المُقِـــيم
فَاجْعَــــل تُقَـــاكَ وِقَايَـــةً فِي الحَشْرِ مِن نَارِ السَّـــمُوم
وَاغنَمْ حَيَاتَـــكَ وَاجتَهِـــد وَأَنِب إلَى الرَّبِّ الـــرَّحِيم

ندم وحسرة

بَكيتُ عَلــى الشَّــبَاب بِــدَمع عَينــي
فَلَـــم يُغـــنِ البُكـــاءُ وَلَا النَّحيـــبُ
فَيَـــــا أسَــــــفًا عَلَـــــى شَـــــباب
نَعَـــاهُ الشَّـــيب و الـــرَّأسُ الخضِـــيبُ
عُرِيتَ مِن الشَّـــبَاب وَكُنـــتَ غُصـــنًا
كمَا يَعـــرَى مِـــنَ الـــوَرَقِ القَضِـــيبُ
فيَـــا لَيـــتَ الشَّـــباب يَعُـــودُ يومًـــا
فَـــأُخبِرُهُ بِمَـــــا فَعَـــلَ المَشِـــــيبُ

الاحتجاج بالقدر على المعاصي

أخي الحبيب:

يحتجُّ بعض الناس على معاصيهم بالقدر فيقول: إذا كان الله قد قدَّر عليَّ المعصية قبل أن أُخلق، بل قبل خلق السماوات والأرض، فكيف يمكن أن أتخلَّص مما قدَّره الله عليَّ؟ و كيف يُعذِّبني على أمرٍ

قدَّره عليَّ؟

وقد أبطل القرآن الكريم حُجج هؤلاء وزيف دعاواهم وبـــيَّن تهافها وعدم نفعها لهم يوم القيامة.

قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

الجواب على ذلك أن نقول:

إذا قيل هذا فقل أيضًا: إنَّ الإنسان يُثاب على فعل الطاعات، فكيف يُثاب عليها وهي مكتوبةٌ عليه ولا يمكن أن يـــتخلَّص مــــن الأمر المكتوب عليه؟ وليس من العدل أن تجعل القـــدر حُجَّـــة في جانب المعاصي ولا تجعله حجَّة في جانب الطاعات.

وجواب ثان:

أنَّ الله أبطل هذه الحجَّة في القرآن، وجعلها من القـــول بـــلا علم، فقال تعالى: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِـــنْ قَـــبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**﴾ [الأنعام: ١٤٨].

فبيَّن الله أنَّ هؤلاء المحتجِّين بالقدر على شِركهم كان لهم سلف كذبوا كتكذيبهم واستمرُّوا عليه حتى ذاقوا بأس الله، ولو كانـــت حُجتهم صحيحة ما أذاقهم الله بأسه، ثم أمر الله نبيه أن يتحـــدَّاهم بإقامة البرهان على صحَّة حجَّتهم، وبيَّن أنه لا حُجَّة لهم في ذلك.

وجواب ثالث:

أن نقول إنَّ القدر سرٌّ مكتومٌ لا يعلمه إلاَّ الله حتى يقع، فمـــن أين للعاصي العلم بأنَّ الله كتب عليه المعصية حتى يقـــدم عليهـــا؟ أفليس من الممكن أن يكون قد كُتِبت له الطاعة؟ فلماذا لا يجعـــل بدل إقدامه على المعصية أن يقدم على الطاعة ويقـــول إنَّ الله قـــد كتب لي أن أطيع؟!

وجواب رابع:

أن نقول إنَّ الله قد فضَّل الإنسان بما أعطاه من عقلٍ وفهـــم، وأنزل عليه الكتُب وأرسل إليه الرسل، وبيَّن له النافع من الضـــار، وأعطاه إرادة وقُدرة يستطيع بهما أن يسلك إحـــدى الطـــريقين، فلماذا يختار هذا العاصي الطريق الضار على الطريق النافع؟

أليس هذا العاصي لو أراد سَفرًا إلى بلد وكان لـــه طريقـــان أحدهما سهل وآمن والآخر صعب ومخيف فإنه بالتأكيـــد ســـوف يسلك الطريق السهل الآمن، ولن يسلك الصعب المخيف بحجَّة أنَّ الله كتب عليه ذلك؟ بل لو سلكه واحتجَّ بأنَّ الله قد كتبه عليه لعدَّ الناس ذلك سفهًا وجنونًا، فهكذا أيضًا طريق الخير وطريق الشـــر سواء بسواء، فليسلك الإنسان طريق الخـــير، ولا يخـــدعنَّ نفســـه بسلوك طريق الشر بحجَّة أنَّ الله كتبه عليه، ونحن نرى كلَّ إنســـانٍ قادرٍ على كسب المعيشة يضرب كلَّ طريقٍ لتحصيلها ولا يجلس في بيته ويدع الكسب احتجاجًا بالقدر.

إذن فما الفرق بين السعي للدنيا والسعي في طاعة الله؟

لماذا تجعل القدر حجة لك على ترك الطاعة ولا تجعله لك على

ترك العمل للدنيا؟

إنَّ الأمر من الوضوح بمكان، ولكنَّ الهوى يعمي ويصم.

ويقول فضيلته:

ونرى ألاَّ حجَّة للعاصي على معصيته بقـــدر الله تعـــالى؛ لأنَّ العاصي يقدم على المعصية باختياره من غير أن يعلم أنَّ الله تعـــالى قدّرها عليه؛ إذ لا يعلم أحد قدر الله تعالى إلاَّ بعد وقوع مقـــدوره **﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾** [لقمان: ٢٤]

فكيف يصحُّ الاحتجاج بحجَّة لا يعلمها المحتجُّ بها حين أقـــدم على ما اعتذر بها عنه، وقد أبطل الله تعالى هذه الحجـــة بقولـــه: **﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَـــا وَلَـــا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّـــنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾** [الأنعام: ١٤٨].

ونقول للعاصي المحتج بالقدر:

لماذا لم تقدم على الطاعة مُقدِّرًا أنَّ الله تعالى قد كتبها لك، فإنه لا فرق بينها وبين المعصية في الجهل بالمقدور قبل صـــدور الفعـــل منك؟

ولهذا لِما أَخبَر النبي ﷺ الصحابة بأنَّ كلَّ واحد قـــد كُتـــب مقعده من الجنة ومقعده من النار، قالوا: أفلا نتكل وندع العمـــل؟ قال: «**لا، اعملوا؛ فكلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلق له**».

ونقول للعاصي المحتج بالقدر:

لو كنت تريد السفر لمكة وكان لها طريقان، أخبرك الصـــادق أحدهما مخوف صعب والثاني آمن سهل، فإنك ستسلك الثاني، ولا يمكن أن تسلك الأول وتقول إنه مقدَّر عليَّ؛ إذ لو فعلت لعـــدَّك الناس في قسم المجانين.

ونقول له أيضًا:

لو عُرض عليك وظيفتان: إحداهما ذات مرتب أكثر، فإنـــك سوف تعمل فيها دون الناقصة، فكيف تختار لنفســـك في عمـــل الآخرة ما هو الأدنى ثم تحتجُّ بالقدر؟!

ونقول له أيضًا:

نراك إذا أُصبت بمرض جسمي طرقت بـــاب كـــل طبيـــب لعلاجك، وصبرت على ما ينالك من ألم عملية الجراحـــة وعلـــى مرارة الدواء. فلماذا لا تفعل مثل ذلك في مرض قلبك بالمعاصي؟

ونؤمن بأنَّ الشر لا يُنســـب إلى الله تعـــالى لكمـــال رحمتـــه وحكمته، قال النبي ﷺ: «**والشر ليس إليك**»[١].

فقضاء الله تعالى ليس فيه شرٌّ أبدًا؛ لأنه صـــادرٌ عـــن رحمـــةٍ وحكمة، وإنما يكون الشر في مقتضياته لقول الـــنبي ﷺ في دعـــاء القنوت الذي علَّمه الحسن: «**وقني شرَّ ما قضيت فأضاف الشـــر إلى ما قضاه، ومع هذا فإن الشر في المقتضيات ليس شرًا خالصًا**

(١) رواه مسلم.

محضًا بل هو شر في محله من وجه، خير من وجه، أو شر في محله خير في محل آخر، فالفساد في الأرض من الجدب والمرض و الفقر والخوف شر، لكنه خير في محل آخر».

قال الله تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَــا كَسَــبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الروم: ٤١]

وقطع يد السارق ورجم الزاني شر بالنسبة للسارق والــزاني؛ ففيه قطع اليد وإزهاق النفس، لكنه خيرٌ لهما من وجهٍ آخر، حيث يكون كفَّارة لهما، فلا يجمع لهما بين عقوبتي الدنيا والآخرة، وهو أيضًا خير في محل آخر حيث إنَّ فيه حمايــة الأمــوال والأعــراض والأنساب.

فوائد ترك الذنوب والمعاصي

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله فوائد كثيرة جليلة لترك الذنوب المعاصي منها:

أولاً– الفوائد التي تحصل للعبد في الدنيا:

إقامة المروءة وصون العرض وحفظ الجاه.

وصيانة المال الذي جعله الله قوامًا لمصالح الدنيا والآخرة.

ومحبة الخلق وصلاح المعاش وراحة البدن وقوة القلب

وطيب النفس ونعيم القلب وانشراح الصدر.

والأمن من مخاوف الفساق والفجار.

وقلّة الهم والغم والحزن.

وعزُّ النفس عن احتمال الذل.

وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية

وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب.

وتسهيل الطاعات عليه وتيسير العلم.

والثناء الحسن من الناس،وكثرة الدعاء له.

والحلاوة التي يكتسبها وجهه والمهابة التي تُلقَى له في قلـــوب الناس، وانتصارهم وحميتهم له إذا أوذي أو ظُلِم.

وسرعة إجابة دعائه وزوال الوحشة التي بينه وبين الله.

وقُرب الملائكة منه وبُعد شياطين الجنِّ والإنس عنه.

وعدم خوفه الموت وصغر الدنيا في قلبه.

وكبر الآخرة عنده وحرصه على الملك الكبير والفوز العظـــيم فيها.

وذوق حلاوة الطاعة ووجد حلاوة الإيمان.

ودعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة له.

وفرح الكاتبين به ودعاؤهم له كل وقت.

والزيادة في عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته.

وحصول محبة الله له وإقبال عليه ،وفرحة بتوبته

ثانيًا– الفوائد التي تحصل له بعد موته:

إذا مات تلقته الملائكة بالبشرى من ربه بالجنة، وبأنه لا خوف عليه ولا حزن.

وينتقل من سجن الدنيا وضيقها الى روضة من رياض الجنـــة ينعم فيها إلى يوم القيامة.

فإذا كان يوم القيامة كان الناس في الحر والعرق وهو في ظـــلِّ العرش.

فإذا انصرفوا من بين يدي الله أخذ به ذات اليمين مع أوليائـــه المتقين وحزبه المفلحين.

أسباب دفع عقوبات الذنوب والمعاصي

أخي الحبيب:

من رحمة الله تعالى بعباده أنه لم يغلق عليهم باب التوبـــة، ولم يسد عليهم طريق الرجعة، بل إنه سبحانه يقبل توبة التائب ودعاء الداعي وبكاء الباكي، فهو أرحم بالعبد من أمِّه وأبيه، ولذلك فقد وسعت رحمته كلَّ شيء، وما على العبد إلاَّ أن يتعـــرَّض لمـــواطن الرحمة وأوقات المغفرة.

وقد تزلّ بالعبد قدمه، فيقدم على المعصية ويجترئ على الذنب، و مع ذلك فإنه ليس حتمًا أن تناله العقوبة وتنزل به النقمـــة، بـــل يمكن أن يدفع الله عنه العقوبة، ويصرف عنه الجـــزاء كمـــا قـــال سبحانه ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود: ١١٤]

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنَّ العبد إذا فعـــل سيئة فإنَّ عقوبتها تندفع بنحو عشرة أسباب هي:

١- أن يتوب من الذنب توبة نصوحًا فيتوب الله عليه.

٢- أن يستغفر الله تعالى فيغفر له.

٣- أن يعمل حسنات يمحو بها تلك السيئة.

٤- أن يدعو له إخوانه المؤمنون ويشفعوا له.

٥- أن يهدي له إخوانه المؤمنون من ثواب أعمالهم ما ينفعـــه الله به.

٦- أن يشفع فيه نبينا محمد ﷺ.

٧- أن يبتليه الله في الدنيا بمصائب في نفســـه ومالـــه وأولاده وأقاربه ومن يحب ونحوه.

٨- أن يبتليه في البرزخ بالفتنة والضغطة وهي عصـــرة القـــبر فيكفِّر بها عنه.

٩- أن يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها وشدائدها بما يكفِّر عنه.

١٠- أن يرحمه أرحم الراحمين بلا سبب من العباد.

يا مغرورًا بالأماني

يا مغرور بالأماني:

لُعِن إبليس وأهبط من منزل العزِّ بترك سجدة واحدة أُمِر بهـــا، وأخرج آدم من الجنة بلقمة تناولها، وحُجب القاتل عنها بعـــد أن رآها عِيانًا بملء كفٍّ من دم، وأمر بقتل الزاني أشنع القتلات بإيلاج قدر الأنملة فيما لا يحلّ، وأمر بإيساع الظهر سياطًا بكلمة قذف أو بقطرة من مسكر، وأبان عضوًا من أعضائك بثلاثة دراهـــم؛ فـــلا تأمنه أن يحبسك في النار بمعصية واحدة من معاصيه ﴿**وَلَا يَخَـــافُ عُقْبَاهَا**﴾ [الشمس: ١٥].

دخلت امرأة النار في هرَّة، وإنَّ الرجل ليتكلم بالكلمـــة لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب، وإن الرجل ليعمل بطاعة الله ستين سنة، فإذا كان عند الموت جار في الوصية فيختم له بسوء عمله فيدخل النار، العمر بآخره والعمل بخاتمته.

ومن أحدث قبل السلام بطل ما مضى من صلاته، ومن أفطـــر قبل غروب الشمس ذهب صيامه ضائعًا، ومن أساء في آخر عمره لقي ربه بذلك الوجه .. لو قدَّمت لقمة وجدتها، ولكـــن يؤيـــذك الشره.

كيف الفلاح بين إيمان ناقص وأمل زائد ومرض لا طبيب لـــه ولا عائد وهوى مستيقظ وعقل راقد ساهيًا في غمرتـــه عَمِهًـــا في سكرته سابحًا في لجة جهله، مستوحشًا من ربه، مستأنسًا بخلقـــه،

ذِكر الناس فاكهته وقوته، وذكر الله حبسه وموته، لله منـــه جـــزء يسير من ظاهره وقلبه ويقينه لغيره!

لا كَـــانَ مَـــن لِســـوَاكَ فِيـــهِ بَقِيَّـــةٌ
يَجِـــد السَّـــبيلَ بِهَـــا إِلَيْـــهِ العَـــدلُ

أنا العبد الذي كسب الذنوب

أنَــا العَبــدُ الَّــذِي كَسَــبَ الــذُنُوبَا
وَصَـــــدَّتهُ المعَاصِــــي أَن يتُوبَـــــا
أنَــا العَبــدُ الَّــذي أضــحَى حَزينًـــا
علَـــــى زَ لاّتِــــهِ دَنفًـــــا كَئِيبَـــــا
أنَــا العَبــدُ الَّــذِي سَــطرت عَليـــهِ
صَــحَائِفُ لَــمْ يَخَــفْ فِيهَــا الرَّقِيبَــا
أنَــا العَبــدُ المُســيء عصَــيتُ رَبِّـــي
فمَـــا لِـــي الآنَ لا أُبــدِي النَّحِيبَــا
أنَــا العَبــدُ المُفَــرِّطُ ضَــاعَ عُمــرِي
وَلَـــــم أَرْعَ الشَّـــــبيبَةَ وَالمَشِـــــيبَا
أنَــا العَبــدُ السَّــقِيمُ مِــنَ الخطَايَــا
وَقَـــدْ أَقبَلـــتُ أَلْـــتَمِسُ الطَّبِيبَـــا
أنَــا العَبــدُ المُخَلَّــفُ عَــن أنَُــاسٍ
حَــوَوا مِــن كُــلِّ مَعــرُوفٍ نَصِــيبَا
أنَا العَبــدُ الشَّــرِيدُ ظَلمــتُ نَفْســي
وَقَـــدْ وَافَيْــــتُ بَـــابَكُمُو مُنِيبَـــا

أنَـــا العَبـــدُ الفَقِـــيرُ مَـــددتُ كَفِّـــي
إلَـــيكُم فَـــادْفَعُوا عَنِّـــي الخطُوبَـــا
أنَـــا الغَـــدَّارُ كَـــمْ عَاهَـــدتُ عَهـــدًا
وكُنـــتُ عَـــنِ الوَفـــاءِ بِـــهِ كَـــذُوبَا
أنَـــا المَقطُـــوعُ فَـــارْحَمْنِي وَصِـــلْنِي
وَيَسِّـــرْ مِنـــكَ لِـــي فَرَجًـــا قَرِيبَـــا
أَنَـــا الْمُضَّـــطَرُّ أَرْجُـــو مِنـــكَ عَفْـــوًا
وَمَـــن يَرْجُـــو رِضَـــاكَ فَلَـــنْ يَخِيبَـــا
فَـــوَا أَسَـــفًا عَلَـــى عُمـــرٍ تَقَضَّـــى
وَلَـــمْ أَكسَـــب بِـــهِ إلاَّ ذُنُوبَـــا
وَأحْـــذَرْ أَن يُعَـــالِجَني مَمَـــاتٌ
يُحَيِّـــرُ هَـــوْلُ مَصْـــرَعِهِ اللَّبِيبَـــا
وَوَا حُزْنَـــاهُ مِـــنْ حَشْـــرِي وَنَشْـــرِي
لِيَـــوْمٍ يَجْعَـــلُ الوِلْـــدَانَ شِـــيبَا
وَشَـــفَّعُ فِـــي خَيْـــرِ الخَلْـــقِ طُـــرًّا
نَبِيًّـــا لَـــمْ يَـــزَلْ أَبَـــدًا حَبِيبَـــا
هُـــوَ الهَـــادِي الْمُشَـــفَّعُ فِـــي البَرَايَـــا
وَكَـــانَ لَهُـــمْ رَحِيمًـــا مُسْـــتَجِيبَا
عَلَيْـــهِ مِـــنَ الْمُهَـــيْمِنِ كُـــلَّ وَقْـــتٍ
صَـــلاةٌ تَمْـــلأُ الأَكْـــوَانَ طِيبَـــا
فَيَـــا مَـــوْلاَيَ جُـــدْ بِـــالعَفْوِ وَارْحَـــمْ

عَبِيـــدًا لَـــمْ يَـــزَلْ يَشْـــكُو الــــذُّنُوبَا
وَسَـــامِحْ هَفْـــوَتِي وَأَجِـــبْ دُعَـــائِي
فَإِنَّـــكَ لَـــمْ تَـــزَلْ أَبَـــدًا مُجِيبَـــا

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل طاعته وكرامته، وأن يصرف عنا معصيته ومخالفته، وأن يبيِّض وجوهنا يوم القيامة، وأن يمتعنـــا بالنظر إلى وجهه الكريم في جنات عدن، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبيا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أهم المصادر:

الجواب الكافي- ابن القيم

الفوائد — ابن القيم

مدارج السالكين — ابن القيم.

التبصرة — ابن الجوزي.

الروض الفائق - الحرفيش.

مجموع الفتاوى — ابن تيمية.

من مشكلات الشباب- ابن عثيمين.